

تَعْظِيمُ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى
لِقَدْرِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ
قَوْلًا وَفِعْلًا

ملخص من كتاب
الشفعا للقاضي عياض رحمه الله (ت ٥٤٤هـ)
تلخيص

أبي سليمان سلمان بن صال العماد

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٤٧ - ٢٠٢٥

مسجد درة عدن - محافظة عدن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: إقرارا به وتوحيدا؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما مزيدا. (١)

(١) «مجموع الفتاوى» (٣ / ١٢٩)، وهي مقدمة العقيدة الواسطية.

قال القاضي : أبو الفضل القاضي عياض بن موسى
اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) (١)

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ (فِي تَعْظِيمِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى لِقَدْرِ النَّبِيِّ
الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا وَفِعْلًا)

لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خُصَّ
بِأَدْنَى لَمَحَةٍ مِنَ الْفَهْمِ: بِتَعْظِيمِ اللَّهِ قَدْرَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُصُوصِهِ إِيَّاهُ بِفَضَائِلَ وَمَحَاسِنَ وَمَنَاقِبَ
لَا تَنْضَبِطُ لِزِمَامٍ: وَتَنْوِيهِهِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِمَا تَكِلُ عَنْهُ

(١) في كتابه «الشفاء» (١/ ١١-٥٣) .

الْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ، فَمِنْهَا مَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي كِتَابٍ:
 وَنَبَّهَ بِهِ عَلَى جَلِيلِ نِصَابِهِ، وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقِهِ
 وَأَدَابِهِ، وَحَضَّ الْعِبَادَ عَلَى التِّزَامِهِ وَتَقَلُّدِ إِجَابِهِ: فَكَانَ
 جَلْ جَلَالِهِ هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى.

ثُمَّ طَهَّرَ وَزَكَّى، ثُمَّ مَدَحَ بِذَلِكَ وَأَثْنَى، ثُمَّ أَثَابَ عَلَيْهِ
 الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، فَلَهُ الْفَضْلُ بَدَأَ وَعَوَّدًا، وَالْحَمْدُ أَوْلَى
 وَأُخْرَى، وَمِنْهَا مَا أَبْرَزَهُ لِلْعَيَانِ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى أُمَّتِهِ وَجُوهِ
 الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَتَخْصِيصِهِ بِالْمَحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ
 وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ وَالْفَضَائِلِ
 الْعَدِيدَةِ وَتَأْيِيدِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ

وَالْكَرَامَاتِ الْبَيِّنَةِ: الَّتِي شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ، وَرَأَاهَا مَنْ
 أَدْرَكَهُ، وَعَلِمَهَا عِلْمَ يَقِينٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، حَتَّى انْتَهَى
 عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَفَاضَتْ أَنْوَارُهُ عَلَيْنَا: صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا *

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي ثَنَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِظْهَارِهِ عَظِيمِ
 قَدْرِهِ لَدَيْهِ

اعْلَمْ أَنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ آيَاتٍ كَثِيرَةً مَفْصُحَةً
 بِجَمِيلِ ذِكْرِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدِّ
 مَحَاسِنِهِ وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَتَنْوِيهِ قَدْرِهِ، اعْتَمَدْنَا مِنْهَا عَلَى

مَا ظَهَرَ مَعْنَاهُ وَبَانَ فَحَوَاهُ، وَجَمَعْنَا ذَلِكَ فِي عَشْرَةِ
فُصُولٍ:

(الْفَصْلُ الْأَوَّلُ) فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ مَجِيءَ الْمَدْحِ
وَالثَّنَاءِ وَتَعْدَادِ الْمَحَاسِنِ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) الْآيَةَ.
قَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ: وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) بِفَتْحِ
الْفَاءِ. وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالضَّمِّ.

الفصل الثاني (في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة)

قال الله تعالى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) الآية، جمع الله تعالى له في هذه الآية ضرباً من رتب الأثر، وجُملة أوصاف من المدحة، فجعله شاهداً على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم، ومبشراً لأهل طاعته، ونذيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيدِهِ وعبادته، وسراجاً منيراً يهتدى به للحق *

الْفَصْلُ الثَّلَاثُ فِيْمَا وَرَدَ مِنْ خِطَابِهِ إِيَّاهُ مَوْرِدَ الْمَلَاظِفَةِ وَالْمَبْرَةِ

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ)
قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيٌّ قِيلَ هَذَا افْتِتَاحُ كَلَامٍ بِمَنْزِلَةٍ:
أَصْلَحَكَ اللَّهُ، وَأَعَزَّكَ اللَّهُ.

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَخْبَرَهُ بِالْعَفْوِ قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَهُ
بِالدَّنْبِ.

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ

اتَّفَقَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي هَذَا أَنَّهُ قَسَمَ مِنَ اللَّهِ جَل جلاله
بِمُدَّةِ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْلُهُ ضَمُّ
الْعَيْنِ مِنَ الْعُمُرِ وَلَكِنَّهَا فُتِحَتْ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ،
وَمَعْنَاهُ: وَبِقَائِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَقِيلَ وَعَيْشِكَ، وَقِيلَ:
وَحَيَاتِكَ، وَهَذِهِ نَهَايَةُ التَّعْظِيمِ وَغَايَةُ الْبِرِّ وَالتَّشْرِيفِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى
وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ، وَقَالَ أَبُو
الْجَوْزَاءِ: مَا أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَهُ.

الْفَصْلُ الْخَامِسُ فِي قَسَمِهِ تَعَالَى جَدُّهُ لَهُ لِتَحْقُقِ
مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ

قَالَ جَلَّ اسْمُهُ (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) السُّورَةُ،
اِخْتَلَفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ فَقِيلَ كَانَ تَرَكُّ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَامَ اللَّيْلِ لِعُذْرِ نَزَلِ بِهِ
فَتَكَلَّمَتْ امْرَأَةٌ فِي ذَلِكَ بِكَلَامٍ وَقِيلَ بَلْ تَكَلَّمَ بِهِ
الْمُشْرِكُونَ عِنْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَنَزَلَتِ السُّورَةُ.

الْفَصْلُ السَّادِسُ فِيْمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي جِهَتِهِ
صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْرَدَ الشَّفَقَةِ وَالْإِكْرَامِ

قَالَ تَعَالَى (طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) قِيلَ طَه
اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ هُوَ اسْمٌ لِلَّهِ
وَقِيلَ مَعْنَاهُ يَا رَجُلُ وَقِيلَ يَا إِنْسَانُ وَقِيلَ هِيَ حُرُوفٌ
مُقَطَّعَةٌ لِمَعَانٍ، قَالَ الْوَاسِطِيُّ أَرَادَ يَا طَاهِرُ يَا هَادِي
وَقِيلَ هُوَ أَمْرٌ مِنَ الْوَطْءِ وَالْهَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ الْأَرْضِ أَيِ
اعْتَمَدَ عَلَى الْأَرْضِ بِقَدَمَيْكَ وَلَا تُتَعَبْ نَفْسَكَ
بِالاعْتِمَادِ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ

الْفَصْلُ السَّابِعُ فِيْمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ
 الْعَزِيزِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ
 وَحَظْوَةِ رَتْبِهِ عَلَيْهِمُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ
 مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ) إِلَى قَوْلِهِ (مِنَ الشَّاهِدِينَ)

الْفَصْلُ الثَّامِنُ فِي إِعْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى خَلْقَهُ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ وَوَلَايَتِهِ لَهُ وَرَفْعِهِ الْعَذَابَ بِسَبَبِهِ

قال الله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) أَيِّ مَا كُنْتَ بِمَكَّةَ فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ وَبَقِيَ فِيهَا مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَلَ (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) وهذا مثل قوله (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا) الآية وقوله تعالى (وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ) الآية فَلَمَّا هَاجَرَ الْمُؤْمِنُونَ نَزَلَتْ (وَمَا لَهُمْ إِلَّا لِيَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) وَهَذَا مِنْ أَبْيَنِ مَا يُظْهَرُ مَكَانَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَرَأَتُهُ الْعَذَابَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ بِسَبَبِ كَوْنِهِ ثُمَّ

كَوْنِ أَصْحَابِهِ بَعْدَهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَلَمَّا خَلَتْ مَكَّةُ
 مِنْهُمْ عَدَّ اللَّهُ بِتَسْلِيطِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ وَغَلَبَتِهِمْ
 إِيَّاهُمْ وَحَكَمَ فِيهِمْ سُيُوفَهُمْ وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ
 وَأَمْوَالَهُمْ .

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) إِلَى قَوْلِهِ
تَعَالَى (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ
فَضْلِهِ وَالشَّانِ عَلَيْهِ وَكَرِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَنِعْمَتِهِ
لَدَيْهِ مَا يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنِ الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهِ فَابْتَدَأَ جَل
جَلَالَهُ بِإِعْلَامِهِ بِمَا فَضَاهُ لَهُ مِنْ الْقَضَاءِ الْبَيِّنِ بِظُهُورِ
وَعُغْبَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ وَعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ وَأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ
غَيْرٌ مُؤَاخَذٍ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ .

الْفَصْلُ الْعَاشِرُ فِيمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ
مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ وَمَكَانَتِهِ عِنْدَهُ وَمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ
سِوَى مَا انْتَضَمَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلَ:

مِنْ ذَلِكَ مَا فَصَّه تَعَالَى مِنْ قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ فِي سُورَةِ
سُبْحَانَ، وَالنَّجْمِ، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ الْقِصَّةُ مِنْ عَظِيمِ
مَنْزِلَتِهِ وَقُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ مَا شَهِدَ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَمِنْ
ذَلِكَ عِصْمَتِهِ مِنَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ) وَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا)
الآيَةَ وَقَوْلِهِ (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ) وَمَا دَفَعَ اللَّهُ
بِهِ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ أَذَاهُمْ بَعْدَ تَحْرِيبِهِمْ لِهُلُكِهِ

وَحُلُوصِهِمْ بِحِيَا فِي أَمْرٍ وَالْأَخْذِ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَيْهِمْ وَذُهُولِهِمْ عَنْ طَلْبِهِ فِي الْإِغْرَ وَمَا ظَهَرَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَنُزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ وَقِصَّةِ سُرَاةِ بِنِ مَالِكٍ حَسْبَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسِّيَرِ فِي قِصَّةِ الْغَارِ وَحَدِيثِ الْهَجْرَةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَعْطَاهُ، وَالْكَوْثَرُ حَوْضُهُ وَقِيلَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَقِيلَ الْخَبْرُ الْكَثِيرُ وَقِيلَ الشَّفَاعَةُ وَقِيلَ الْمُعْجَزَاتُ الْكَثِيرَةُ وَقِيلَ النَّبُوَّةُ وَقِيلَ الْمَعْرِفَةُ، ثُمَّ أَجَابَ عَنْهُ عَدُوُّهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَقَالَ تَعَالَى (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ

الْأَبْتَرُ) أَي عَدْوَاكَ وَمُبْغِضَكَ، وَالْأَبْتَرُ الْحَقِيرُ الدَّلِيلُ أَوْ
 الْمَفْرَدُ الْوَحِيدُ أَوْ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَقَالَ تَعَالَى (وَلَقَدْ
 آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ) قِيلَ السَّبْعُ
 الْمَثَانِي السُّورُ الطُّوَالُ الْأَوَّلُ وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أُمَّ الْقُرْآنِ،
 وَقِيلَ السَّبْعُ الْمَثَانِي أُمَّ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ سَائِرُهُ
 ... وَقَالَ (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) الْآيَةَ وَقَالَ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
 إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) وَقَالَ تَعَالَى (قُلْ يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) الْآيَةَ.

لخصه أبو سليمان سلمان بن صالح العماد

الجمعة ٦ / ربيع أول / ١٤٤٧ هـ

